

## ثانياً : شبهة التأخر فى تدوين السنة النبوية والرد عليها

### استعراض الشبهة وأصحابها :

روى الإمام البخارى -رحمه الله- فى صحيحه تعليقاً، قال : وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبى بكر بن حزم<sup>(1)</sup>، "انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث رسول الله ﷺ، ولتغشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً"<sup>(2)</sup> 0

بهذه الرواية تعلق أعداء الإسلام من الرافضة، والمستشرقين، ودعاة اللادينية المتفرجة، فقالوا : إن السنة لم تدون إلا فى مطلع القرن الثانى الهجرى، لأن أول من أمر بتدوينها هو الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ﷺ، وهو قد تولى الخلافة سنة 99هـ وتوفى سنة 101هـ<sup>(3)</sup> 0

1 ( ) أبو بكر بن حزم هو : أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى البخارى، اسمه وكنيته واحد، وقيل أنه يكنى أبا محمد، من سادات التابعين، ثقة عابد، مات سنة 120هـ 0 وقيل غير ذلك له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص 100 رقم 544، وتقريب التهذيب 2/367 رقم 8017، والكاشف 2/412 رقم 6537، والثقات لابن حبان 5/561، والجرح والتعديل 9/337 رقم 1492 0

2 ( ) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم 1/234، والدارمى فى سننه المقدمة، باب من رخص فى كتابة العلم 1/137 رقمى 487، 488، والخطيب فى تقييد العلم 1/105، 106 0

3 ( ) أضواء على السنة محمود أبورية ص 260 0 ويتناقض أعداء السنة عن جهل تارة، وعن علم تضليلاً للقارئ تارة أخرى، وهم يؤرخون للتدوين الرسمى للسنة المطهرة 0 فنرى مصطفى المهدي يقول : "إن الثابت أن الأحاديث لم تدون إلا بعد زمن بعيد من وفاته ﷺ وعلى رأس المائة الثالثة من الهجرة بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز 0 وأين عمر من المائة الثالثة؟ انظر: البيان بالقرآن 1/25، ثم يتناقض ويكذب على أئمة المسلمين قائلاً : "يتفق جمهور الفقهاء على أن تدوين هذا التراث إنما بدأ فى أواسط القرن الثانى الهجرى" انظر : المصدر السابق 1/197 0 ويقول سعيد العشماوى : (غير أن الأحاديث لم تجمع إلا فى عصر التدوين فى العصر العباسى الأول، وفى النصف الثانى من العام الثانى الهجرى) انظر : حقيقة الحجاب وحجية الحديث ص 81، 82، 84، وأيد العشماوى فى تاريخه السابق المستشار عبد الجواد ياسين فى

وهذه المدة الطويلة تكفى لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ما قد حصل<sup>(1)</sup> ولذا حصل فى السنة التبديل والزيادة ككتب أهل الكتاب، لعدم كتابتها فى عهده ﷺ، وعدم حصر الصحابة لها فى كتاب معين، وعدم تبليغها للناس بالتواتر، وعدم حفظهم لها جيداً فى صدورهم، حتى أباحوا نقلها بالمعنى، واختلفت الرواية عنهم لفظاً ومعنى<sup>(2)</sup>، ولا يمكن بغير الكتابة أن يحصر ما قاله النبى ﷺ أو فعله فى ثلاثة وعشرين عاماً مما سهل على قوم أن يستيحووا لأنفسهم وضع الحديث ونسبته كذباً إلى رسول الله ﷺ<sup>(3)</sup>

**أما غلاة الشيعة :** فيزعمون أنهم حفظة السنة وأساس تدوينها، والسبق إلى التدوين فضيلة لهم، فهم أساس بناء مدرسة التعبد المحض<sup>(4)</sup>

كتابه السلطة فى الإسلام ص 237، 238، 277 وقال بذلك أيضاً أحمد صبحى منصور فى كتبه الحسبة ص 8، ولا يأسخ ولا منسوخ ص 10، وعذاب القبر ص 6، والصلاة فى القرآن 44، والقرآن والحديث والإسلام لرشاد خليفة ص 36، ويذهب محمود أبو رية إلى أن التدوين المعتمد لدى الجمهور لم يقع إلا حوالى منتصف القرن الثالث إلى القرن الرابع، انظر: أضواء على السنة ص 268، ويذهب قاسم أحمد إلى أنه تم جمع السنة بعد فترة تمتد من قرنين إلى أربعة قرون من =

= وفاة النبى ﷺ انظر : إعادة تقييم الحديث ص 94، وانظر : نقد الخطاب الدينى نصر أبو زيد ص 126، وشفاء الصدر بنفى عذاب القبر إسماعيل منصور 1/117، والأصلان العظيمان جمال البنا ص 275، وضحى الإسلام لأحمد أمين 2/106/107 0 ويذهب إسماعيل منصور إلى التاريخ للتدوين، تارة بأنه فى سنة 250هـ، وتارة فى سنة 200هـ 0 انظر : تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 13، 7، 111، 288، ويذهب محمد شحرور إلى التاريخ بسنة 250هـ 0 انظر: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص 565، ويذهب أحمد صبحى منصور إلى التاريخ بالقرن الثالث الهجرى انظر: عذاب القبر ص 6، ومجلة روزاليوسف العدد 3559 ص 48، ويذهب محمد حسين هيكلى إلى التاريخ بعصر المأمون المتوفى سنة 218هـ 0 انظر : حياة محمد ص 55، والدكتور على حسن عبد القادر يؤرخ بسنة 200هـ 0 انظر : نظرة عامة فى تاريخ الفقه ص 119 0

( ) مجلة المنار المجلد 9/515، وأضواء على السنة 258، 259، 1

ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالى لأحمد حجازى السقا ص 80 0  
( ) مجلة المنار المجلد 9/911، وأضواء على السنة ص 80، 2

259 0  
( ) فجر الإسلام أحمد أمين ص 210، 211، وحقيقة الحجاب وحجية الحديث للعشماوى ص 84، والأصلان العظيمان جمال البنا ص 268 0 3

( ) انظر : الشيعة وفنون الإسلام حسن الصدر ص 27، 28، والمطالعات والمراجعات والردود لمحمد الحسين آل كاشف 4

أما أهل السنة وفى مقدمتهم أبى بكر وعمر -رضى الله عنهما- فهم أساس مدرسة الاجتهاد والرأى، وهم الذين منعوا تدوين الأحاديث، وأضاعوا سنة نبيهم ﷺ<sup>(1)</sup>، التى قاموا بتدوينها على رأس المائتين بعد انقراض دولة بنى أمية، وتحول الدولة إلى بنى العباس<sup>(2)</sup> 0

---

ص 56، ومعالم المدرستين لمرتضى العسكري المجلد 2/375، ومنع تدوين الحديث أسباب ونتائج لعلى الشهرستانى ص 76، 342، 397، 424، 442، 447، وتأملات فى الحديث عند السنة والشيعة لذكرى عباس داود ص 42 0

<sup>1</sup> ( ) منع تدوين الحديث أسباب ونتائج لعلى الشهرستانى ص 312، 339، 468، 504، وتأملات فى الحديث لذكرى عباس داود ص 70، وركبت السفينة لمروان خليفات ص 107 ويقول الرافضة، قال المستشرقون، انظر: منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزيزة على طه ص 59 0

<sup>2</sup> ( ) تأسيس علوم الشيعة حسن الصدر 278، 279 0

**أما المستشرقون :** فيتلخص موقفهم من السنة النبوية وتدوينها، في موقف المستشرق اليهودي (جولدتسيهر) الذي ذهب إلى : "أن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني، والسياسي، والاجتماعي في القرنين الأول، والثاني، وأنه ليس صحيحاً ما يقال من أنه وثيقة للإسلام في عهده الأول، عهد الطفولة، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام في عصر النضوج"<sup>(1)</sup>

**وهذا الذي زعمه جولدتسيهر؛ اتخذه المستشرقون وذيولهم "إنجيلاً مقدساً"، ورددوه في بحوثهم ودوائر معارفهم"<sup>(2)</sup>**

**وكان هذا الزعم لدى (شاخت)<sup>(3)</sup> حجر الأساس له، ولكل باحث يريد التشكيك في السنة النبوية المطهرة، فأكد ما قاله سلفه جولدتسيهر وتجاوزه بزعمه :** "أنه لا صحة لأي حديث منسوب للنبي ﷺ، وأن المجموعة الأولى المعول عليها من الأحاديث النبوية التي تعرف بأحاديث الأحكام، قد نشأت في منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً، وهو التاريخ الذي يحدد حسب رأيه، بداية فترة تدوين الأحاديث"<sup>(4)</sup>

- 1 ( ) العقيدة والشريعة في الإسلام جولدتسيهر ص 53، 251، وانظر : دارسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير، نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 10/564 0
- 2 ( ) انظر : دائرة المعارف الإسلامية 2/570 - ترديد (ماكدونالد) مقولة جولدتسيهر، وكذا (كارل بروكلمان) في تاريخ الشعوب الإسلامية ص 71، وانظر دراسة الكتب المقدسة للدكتور موريس بوكاي ص 152، 273 0 وانظر : مفهوم النص نصر أبو زيد وزعمه بأن النص (قرأنا وسنة) منتج ثقافي وأن ذلك بديهية لا تحتاج لإثبات 0 مفهوم النص ص 23 - 24 0
- 3 ( ) شاخت : هو جوزيف شاخت 0 مستشرق ألماني 0 ولد عام 1902/ عمل محاضراً للدراسات الإسلامية في عدد من الجامعات 0 كان من أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق 0 وقد اشتهر بدراسة التشريع الإسلامي، قال الدكتور السباعي : (المانى متعصب ضد الإسلام والمسلمين) من مصنفاته : إعادة تقييم الحديث، وأصول الفقه المحمدي، والتطور الحديث للفقه الإسلامي بمصر، وغير ذلك، له ترجمة في : المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية جمع صلاح الدين المنجد 2/803 - 805، والاستشراق للدكتور السباعي ص 38، والأعلام 8/234 وجوزيف شاخت بقلم : برنارد لويس ترجمة الأستاذ الصديق بشير، ويوسف شاخت حياته وأثاره بقلم : روبرت برو نشفيج ترجمة الدكتور عبد الحكيم الأربد 0 نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 11/622-644 0
- 4 ( ) أصول الفقه المحمدي ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 11/652

وكانت نزع الشك عند شاخه أكثر شدة منها عند  
جولدسبير، ويتضح هذا من "القاعدة المنهجية" التي تترتب،  
حسب رأيه، على استنتاجات جولدسبير 0 وهى "قاعدة

**السكوت عن الحديث في موطن الاحتجاج دليل على عدم وجوده** " استخدم شاخت هذه القاعدة كثيراً لثبت عدم وجود كثير من الأحاديث إبان فترة الإسلام الأولى 0 **ويعبر عن ذلك بقوله** : "إن أحسن طريق لإثبات عدم وجود حديث في عهد معين، هو أن نظهر أن ذلك الحديث لم يستعمل كدليل فقهي في نقاش يستوجب الاستدلال بذلك الحديث لو كان بالفعل موجوداً... "0(1)

**وهذا الذي زعمه شاخت في كتابه (أصول الفقه المحمدي) أصبح "إنجيلاً ثانياً" لعالم الاستشراق حيث غير من نظرة سلفه جولدتسيهرر التشكيكية في صحة الأحاديث إلى نظرة متيقنة في عدم صحتها بقوله** : "إن المجموعة الأولى المعول عليها من الأحاديث النبوية التي تعرف بأحاديث الأحكام، قد نشأت في منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً لمواجهة أقوال الصحابة وغيرهم"0(2) **ويقول** : "يكاد يكون من المستحيل توثيق أي من هذه الأحاديث فيما يتعلق بأمور التشريع الديني"0(3)

**ولقد ترك كتابه هذا أثراً عميقاً في تفكير دارسي الحضارة الإسلامية، حتى تنبأ البرفسور جب قائلاً** : "أنه - يعني كتاب شاخت سيكون في المستقبل أساساً لكافة الدراسات عن الحضارة الإسلامية والتشريع، وعلى الأقل في الغرب"0(4)

**وعن خطورة هذا الكتاب ومكانته عند المستشرقين يقول الأستاذ الصديق بشير** : "وليس من قبيل المبالغة إذا قلت إن كل من كتب بعده من المستشرقين في هذا الحقل المعرفي هم عيال عليه، وحسبك أنه لا تكاد توجد جامعة من جامعات الغرب لها اعتناء بالدراسات الإسلامية إلا ونجد هذا الكتاب مقرراً على طلابها"0(5) أ هـ 0 **الجواب عن شبهة التأخر في تدوين السنة النبوية :**

- 1 ( ) سنعود إلى بقية نص هذا الكلام عند نقد قاعدة شاخت 0 انظر : أصول الفقه المحمدي ص 140 نقلاً عن نقد قاعدة شاخت للأستاذ ظفر إسحاق الأنصاري بحث قدم لمؤتمر السنة ومنهجها في بناء المعرفة والحاضرة 2/589 0
- 2 ( ) أصول الفقه المحمدي ترجمة الأستاذ الصديق بشير، نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 11/652 0
- 3 ( ) مدخل إلى الشريعة لشاخت نقلاً عن نقد قاعدة شاخت للأستاذ ظفر الأنصاري، انظر : مؤتمر السنة ومنهجها في بناء المعرفة والحاضرة 2/589 0
- 4 ( ) دراسات في الحديث النبوي للدكتور محمد الأعظمي المقدمة 0
- 5 ( ) مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 11/646 بحث الأستاذ الصديق بشير (أصول الفقه المحمدي في كتابات الغربيين) 0

بادئ ذي بدء - نحن نجزم بصحة هذه الرواية التي صدرنا بها البحث، وهي التي تفيد أن عمر بن عبد العزيز؛ هو أول من أمر بتدوين السنة، نجزم بصحتها لأنها وردت في أوثق مصادرنا، وأصحها بعد كتابه تعالى، ألا وهو صحيح البخارى، ولكننا نهدف من وراء هذا البحث إلى إثبات حقائق هامة وهي :

**1- الحقيقة الأولى :** أن الكثيرين خلطوا بين النهى عن كتابة السنة، وبين تدوينها حيث فهموا خطأ أن التدوين هو الكتابة، وعليه فإن السنة النبوية - ظلت محفوظة فى الصدور لم تكتب إلا فى نهاية القرن الأول الهجرى فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-

**ولو أن المعاصرين فهموا حقيقة الكتابة، وحقيقة التدوين، وأدركوا الفرق بينهما، لما تعارضت النصوص فى فهمهم، ولما صح تشكيك أعداء الإسلام فى السنة النبوية بدعوى تأخر تدوينها مدعين أنه دخلها الزيف، لأن العلم الذى يظل قرناً دون تسجيل لابد وأن يعتريه تغيير وبدخلة التحريف، فإن الذهن يغفل والذاكرة تنسى، أما القلم فهو حصن أمان لما يدون به<sup>(1)</sup>**

### **الكتابة، والتدوين، والتصنيف فى اللغة :**

وهذا تعريف موجز للكتابة والتدوين والتصنيف : يتضح منه الفرق بين الكتابة والتدوين :

**أ- الكتابة :** قال فى اللسان: "كتب الشئ كتباً، وكتاباً، وكتابة، وكتبه خطه" فكتابة الشئ خطه<sup>(2)</sup>

**ب- التدوين :** قال فى اللسان : "والديوان مجتمع الصحف"<sup>(3)</sup> وقال فى تاج العروس : "وقد دونه تدويناً جمعه 0 وعليه فالتدوين هو جمع الصحف المشتتة فى ديوان ليحفظها"<sup>(4)</sup>

**ج- التصنيف :** قال فى اللسان : والتصنيف : تمييز الأشياء بعضها من بعض، وصنف الشئ ميز بعضه من بعض 0 وتصنيف الشئ جعله أصنافاً 0 وعليه فالتصنيف تمييز الجزئيات، كان يميز المصنف الصواب من الخطأ، أو الأهم من المهم"<sup>(5)</sup>

**ومن هذه التعاريف : يتضح لنا أن الكتابة غير التدوين، فالكتابة مطلق خط الشئ، دون مراعاة لجمع الصحف المكتوبة فى إطار**

1 ( ) انظر: السنة النبوية 0 مكانتها 0 عوامل بقائها 0 تدوينها 0 لفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالمهدى عبدالقادر 94-96، وانظر: تصدير الدكتور يوسف العشى فى تقييد العلم للخطيب البغدادي ص 7، 8 0  
2 ( ) لسان العرب 1/698، وانظر : القاموس المحيط 1/120، ومختار الصحاح ص 562 0  
3 ( ) لسان العرب 13/166 0  
4 ( ) تاج العروس 9/204 0  
5 ( ) لسان العرب 9/198 0

يجمعها، **أما التدوين** فمرحلة تالية للكتابة ويكون بجمع الصحف المكتوبة في ديوان يحفظها"<sup>(1)</sup> 0  
**أما التصنيف؛** فهو أدق من التدوين، فهو ترتيب ما دون في فصول محدودة، وأبواب مميزة"<sup>(2)</sup> 0

**وعلى ذلك فقول الأئمة إن السنة دونت في نهاية القرن الأول لا يفيد أنها لم تكتب طيلة هذا القرن، بل يفيد : أنها كانت مكتوبة لكنها لم تصل لدرجة التدوين وهو : جمع الصحف في دفتر** 0

**وما فهمه المعاصرون، من أن التدوين هو الكتابة، فهو خطأ منشأه عدم التمييز بين الكتابة والتدوين**"<sup>(3)</sup> 0  
**وبالتالي فالمقولة "أول من دون العلم ابن شهاب الزهري"** <sup>(4)</sup> **تم ترجمتها خطأ بمعنى: أول من كتب العلم (الحديث) كان ابن شهاب الزهري، وانطلاقاً من هذا التفسير الخاطئ انبثقت نظرية أن كتابة الحديث بدأت متأخرة للغاية حتى عصر الزهري في نهاية القرن الأول، أو بداية القرن، الثاني الهجري، ... ولهذا فالمقولة السابقة يجب تفسيرها على أساس أن أول من دون أو صنف المجموعات المكتوبة من الأحاديث كان ابن شهاب الزهري"** <sup>(5)</sup> 0

- 
- 1 ( ) السنة النبوية مكانتها للأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر ص 97 0
  - 2 ( ) انظر : تصدير الدكتور يوسف العث في تقييد العلم ص 8، وانظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز أحمد ص 284، 283 0
  - 3 ( ) السنة النبوية 0 مكانتها 0 للأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر ص 97 0
  - 4 ( ) ابن شهاب الزهري : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، القرشي، أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته واثقانه 0 مات سنة 125هـ وقيل قبل ذلك 0 له ترجمة في: تقريب التهذيب 2/133 رقم 6315، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 49، 50 رقم 95، والكاشف 2/219 رقم 5152، وتذكرة الحفاظ 1/108 رقم 97، والثقات للعجلي ص 412 رقم 1500، والثقات لابن حبان 5/351، والجرح والتعديل 8/71 رقم 318، ومشاهير علماء الأمصار ص 87 رقم 444، والثقات لابن شاهين ص 276 رقم 1137 0
  - 5 ( ) انظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز أحمد ص 281، وانظر : شفاء الصدور في تاريخ السنة ومناهج المحدثين للدكتور السيد محمد نوح ص 108، 109

والمتتبع لكلام الأئمة السابقين يتضح له أنه كان معلوماً  
لديهم الفرق بين الكتابة والتدوين، وهم يؤرخون لتدوين السنة  
حيث كان مدار حديثهم على التدوين، وليس في

**حديثهم شئ يتعلق بالكتابة، كقول الحافظ ابن حجر :** "وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز، ثم كثر التدوين ثم التصنيف، وحصل بذلك خير كثير"<sup>(1)</sup> **وقال أيضاً :** "اعلم، علمنى الله وإياك أن آثار النبى ﷺ لم تكن فى عصر الصحابة، وكبار تابعيهم مدونة فى الجوامع ولا مرتبة"<sup>(2)</sup> أ 0 هـ 0

**2- الحقيقة الثانية :** أن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - حينما أمر بتدوين السنة لم يبدأ ذلك من فراغ، ولكنه اعتمد على أصول مكتوبة كانت تملأ أرجاء العالم الإسلامى كله، من خلال روح علمية نشطة، أشعلها الإسلام فى أتباعه، فأصبحوا يتقربون إلى الله تعالى بأن يزدادوا فى كل يوم علماً، وخير العلوم - قطعاً - ما كان متعلقاً بالقران والسنة 0

وحينما ثبت أن تدوين السنة قام على أساس المكتوب فى عصر النبى ﷺ، ويأذن منه ﷻ شخصياً، فإننا لن نتعسف الأدلة أبداً وصولاً إلى تلك الغاية؛ لأننا لن نقول فى هذا الشأن قولاً إلا ونشفعه بالدليل القوى المستمد من أوثق المصادر وأكدها وأصحها 0

كما نحب أن ننبه إلى أننا لسنا أبداً أول من قال بهذا القول، وإنما **القول بأن السنة قد بدأت كتابتها منذ عصر النبى ﷺ إلى زمن تدوينها تدويناً رسمياً أصبح حقيقة علمية مؤكدة ثبتت بالبراهين القطعية، وتضافرت على إثبات هذه الحقيقة الساطعة أقوال جملة من الباحثين الثقات الأثبات**<sup>(3)</sup> 0

كالدكتور محمد عجاج الخطيب فى كتابه "السنة قبل التدوين" والدكتور محمد مصطفى الأعظمى فى كتابه : "دراسات فى الحديث النبوى"، والدكتور امتياز أحمد فى كتابه : "دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث"، والدكتور رفعت فوزى عبدالمطلب فى كتابه : "توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى أسسه واتجاهاته) وغيرهم 0

<sup>1</sup> ( ) فتح البارى 1/251 رقم 113، وانظر 1/235 رقم 100، وانظر : جامع بيان العلم لابن عبد البر 1/73، وتذكرة الحفاظ للذهبي 1/160، وشرح الزرقانى على الموطأ 1/14، والسنة النبوية 0 مكاتنها 0 للدكتور عبد المهدي ص 94، 98 0  
<sup>2</sup> ( ) هدى السارى ص 8 0  
<sup>3</sup> ( ) تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان شاهين ص 68 بتصرف 0

## نماذج من أشهر ما كتب من السنة النبوية في حياة النبي ﷺ وبعده إلى زمن التدوين الرسمي :

- 1- ما ورد عن أبي هريرة ﷺ : أنه لما فتح الله ﷻ على رسوله ﷺ مكة قام الرسول ﷺ وخطب في الناس، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاة فقال : يا رسول الله اكتبوا لي، فقال : اكتبوا له <sup>(1)</sup>0
- 2- وأيضاً كتابه ﷺ في الصدقات والديات والغرائب والسنن، الذي أرسله إلى عمرو بن حزم <sup>(2)</sup>، حين بعثه إلى اليمن، أخرجه النسائي، وأبو عبيد القاسم في الأموال <sup>(3)</sup>0
- 3- وَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ لَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ فَرَائِضَ الصَّدَقَةِ، الَّذِي سَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ <sup>(4)</sup>0
- 4- وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ إِلَى عَتَبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ <sup>(5)</sup> بِأَذْرَبِيحَانَ كِتَابًا فِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْحَرِيرِ إِلَّا هَكَذَا، وَأَشَارَ بِأَصْبَعِيهِ اللَّتَيْنِ تَلْيَانِ الْإِبْهَامِ <sup>(6)</sup>0

- 1 ( ) الحديث بطوله ونص الخطبة في صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب العلم، باب كتابة العلم 1/248 رقم 0 112
- 2 ( ) هو : عمرو بن حزم بن عبد عوف الأنصاري الخزرجي، ثم البخاري، كنيته أبو الضحاك، وأول مشاهده الخندق 0 وهو ابن خمس عشرة سنة، واستعمله رسول الله ﷺ على أهل نجران سنة 10هـ بعد أن بعث إليهم خالد بن الوليد، فاسلموا، وكتب له كتاباً فيه الفرائض، والسنن، والصدقات، والديات 0 انظر : الاستيعاب 3/1173، وتخرىج الأدلالت السميعة على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ص 67، مات بالمدينة سنة 51، وقيل : 53، وقيل : 54هـ 0 له ترجمة في: الإصابة 2/532 رقم 5810، وأسد الغابة 4/202 رقم 3905، والاستيعاب 3/1172 رقم 1907، وتجريد أسماء الصحابة 1/404، وتاريخ الصحابة ص 174 رقم 886، ومشاهير علماء الأمصار ص 30 رقم 96 0
- 3 ( ) النسائي في سننه كتاب القسامة، باب ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له 8/57 رقم 4853-4859، والأموال ص 358-362، وانظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة ص 368 وما بعدها 0 ذكر كثير من الكتابات والصحف التي كتبت في عهده ﷺ، وانظر : "مكاتب الرسول" للأستاذ على الأحمدى جمع فيه مؤلفه كتب الرسول وصحفه ورسائله التي بكتب الحديث والسيرة 0
- 4 ( ) الحديث أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الزكاة، باب العرض في الزكاة 3/365 رقم 1448، وفي باب زكاة الغنم 3/371 رقم 1454 بتمامه، وفي غير هذين الموضوعين 0 وانظر : دراسات في الحديث النبوي للدكتور محمد الأعظمي 0 1/93
- 5 ( ) عتبة بن فرقد صحابي جليل له ترجمة في الإصابة 2/455 رقم 5412، وتجريد أسماء الصحابة 1/371، وتاريخ الصحابة لابن حبان ص 187 رقم 979، وأسد الغابة 3/561 رقم 3557
- 6 ( ) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب اللباس، باب لبس الحرير للرجال، وقدر ما يجوز منه 10/295 رقم 5828 0

ومع أن الفاروق عمر كان يوصف بأنه واحد من أشد المعارضين لكتابة الحديث، ومنع تدوينها كما يزعم غلاة الشيعة، إلا أننا على العكس نراه أول من تثبت لكتابة الأحاديث بهمه بتدوين السنة المطهرة 0

فكان أول مقترح بتدوينها حفاظاً لها كما كان أول مقترح بتدوين القرآن الكريم تدويناً عاماً في مكان واحد حفاظاً لكتاب الله ﷻ زمن أبو بكر الصديق ﷺ ففي همة بكتابة السنة - ليس مجرد الكتابة - فهي كانت مكتوبة - وإنما المراد بالكتابة تدوينها تدويناً عاماً في مكان واحد 0

وهذا الهمُّ بالتدوين فيه أبلغ حجة وأبلغ رد على غلاة الشيعة الزاعمين أن أهل السنة، وفي مقدمتهم أبي بكر وعمر - رضى الله عنهما - كانوا من أنصار منع تدوين السنة 0

وهذا يكذبه الواقع، فعمر ﷺ عندما همَّ بتدوين السنة استشار في ذلك أهل الحل والعقد فلم يتردد واحد منهم في الموافقة كما جاء في الأثر: " فأشاروا عليه بأن يكتبها" (1) فإذا كان الأمر كما يزعمون فلماذا يهْمُ عمر ﷺ إذن بالتدوين؟

وعلام وافقوه كلهم على هذا؟ ألا يدل هذا الهمُّ والموافقة على حجية السنة عندهم كما سبق (2) 0  
ويدل على أنهم من أنصار تدوين السنة المطهرة، وحفظتها رغم أنف الرافضة! ولا يمكن أن نستنتج من همَّ عمر بالتدوين ثم عدوله عنه أنه لم يكن راغباً في تدوين الأحاديث في كتب أو أن التدوين منهي عنه، كلا، إذ كيف يصح أن يهْم بشئ منهي عنه ويوافق عليه الصحابة أجمع؟

وكيف يرفض تدوين السنة في حين أنه كتب إلى عمّاله كتاباً كما مر في كتابه إلى عتبة بن فرقد ﷻ وهو القائل " قيدوا العلم بالكتاب" (3)، وهو الجامع الوثائق الخاصة بالزكاة والخراج

1 ( ) سبق تخريجه ص 264، 265 0  
2 ( ) راجع : ما سبق في الجواب عن شبهة النهي عن كتابة السنة ص 298، 299، وانظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص 455 0

3 ( ) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب العلم 1/187، 188 رقمي 359، 360 وقال : صحيح من قول عمر، وقد أسند من وجه غير معتمد، ووافقه الذهبي وقال وصح مثله من قول أنس

## والمسائل المالية الأخرى<sup>(4)</sup>، وهو نفسه الذى أدخل نظام الدواوين فى الأعمال الرسمية<sup>(2)</sup> 0

**كل هذه الحقائق تدحض دعوى الرافضة - الذين امتلأت  
قلوبهم حقداً وبغضاً على الفاروق عمر ؓ، وزعمهم أنه تزعم دعوى  
منع تدوين السنة، وصار على دربه الصحابة فمن بعدهم من التابعين وسائر  
أئمة أهل السنة 0**

**نعم إن السنة لم تدون فى عهد ابن الخطاب لأن التدوين  
منهى عنه، بل لعله أساسية هى : إبعاد الأمة الإسلامية عن الخطأ  
الأثيم الذى ارتكبه أهل الكتاب من قبل بتبديل كتاب الله التوراة، والإنجيل  
بوصايا الرسل وجعلوها هى الكتب المنزلة<sup>(3)</sup> 0**

**كذلك حفاظاً على كتاب الله ؓ والتمكين له أولاً فى قلوب  
المؤمنين كما مر فى وصيته لقرظة بن كعب ؓ وهو متوجه إلى  
الكوفة 0**

لهذا خشى أن تدون السنة فينكب عليها المسلمون، ويتشاغلوا بها  
عن القرآن الكريم فيتشبهون بأهل الكتاب كما قال "ثم تذكرت فإذا  
أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً،  
فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنى والله لا ألبس كتاب الله  
بشيء"<sup>(4)</sup> 0  
من أجل هذا فهو يمتنع عن التدوين بعد أن استشار، وظل يستخير ربه  
شهرًا كاملاً 0

---

0 وانظر : جامع بيان العلم 1/72، وتقييد العلم 87، 88،  
وكشف اللثام عن أسرار تخريج أحاديث سيد الأنام للأستاذ  
الدكتور عبد الموجود 1/108-110 0  
1 ( ) سنن أبى داود كتاب الزكاة، باب فى زكاة السائمة 2/98 -  
99 رقم 1570 والأموال للقاسم بن سلام ص 367 رقم 934  
0  
2 ( ) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد 3/203، وانظر : دلائل  
التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز أحمد ص 198 0  
3 ( ) السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للأستاذ  
الدكتور رءوف شلبى ص 170، 171، وقارن بحجية السنة  
للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص 456، 457 0  
4 ( ) سبق تخريجه ص 265 0

**يقول فضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى** "وكان الصواب ما رأى عمر، فالعصر عصر صحابة للنبي ﷺ لا عصر تابعين، وهم أشبه ما يكون بحواري عيسى عليه السلام، ولنا فى أهل الكتاب تجربة حين سجل أصحاب النبي عيسى عليه السلام ما سمعوه وما رأوه، نسبت الأناجيل إليهم لا إلى عيسى ولا إلى الله، ... فكان الحذر والحيطه من عمر ﷺ بالعدول عن التدوين، إذ لو فعل لم يأمن أن تتعدد كتب السنة بتعدد قائلها، وتتنوع بتنوع أسماء كاتبها، فتكون أناجيل فى الأمة، ويهمل الكتاب الأصيل الذى هو درة التاج وقلادة العقد

**لمن هذه البصيرة النافذة إن لم تكن لعمر بعد النبي ﷺ؟  
ولمن هذا القول الفصل إن لم يكن للفاروق بعد الرسول ﷺ؟  
ولمن هذا الحرص الشديد إن لم يكن لهذا الغيور على دينه؟  
فياليت قومي يعلمون<sup>(1)</sup> أ 0 هـ 0**

**وعودة إلى أشهر ما كتب من السنة فى زمن النبوة وبعده  
إلى زمن التدوين الرسمى**

**5- الصحيفة الصادقة التى كتبها جامعها عبد الله بن عمرو بن العاص** ﷺ عن رسول الله ﷺ، وإن لم تصل هذه الصحيفة كما كتبها عبد الله بن عمرو بخطه فقد وصل إلينا محتواها، لأنها محفوظة فى مسند الإمام أحمد<sup>(2)</sup>، حتى ليصح أن نصفها بأنها أصدق وثيقة تاريخية تثبت كتابة الحديث على عهد رسول الله ﷺ، ويزيدنا اطمئناناً إلى صحة هذه الوثيقة أنها كانت نتيجة طبيعة محتومة لفتوى النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو، عندما أتى إلى النبي ﷺ وقال: "كنت أكتب كل شئ أسمع منك أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شئ تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم فى الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، (هنا يفتى النبي ﷺ) فأوماً بأصبعه إلى فيه وقال: "اكتب، فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا حق"<sup>(3)</sup> 0

وأية اشتغال ابن عمرو بكتابة هذه الصحيفة وسواها من الصحف قول أبى هريرة ﷺ: "ما من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب"<sup>(4)</sup> 0

1 ( ) السنة فى مواجهة أعدائها ص 243، 244 0  
2 ( ) انظر: مسند عبد الله بن عمرو فى مسند أحمد 2/158 - 0 226  
3 ( ) أخرجه أبو داود فى سنته كتاب العلم باب فى كتاب العلم 3/318 رقم 3646 0  
4 ( ) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب كتابة العلم 1/249 رقم 113 0

وهذا لا يعارضه ما روى أن أبي هريرة ؓ كان يكتب، فعن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري<sup>(1)</sup> قال : "تحدثت عن أبي هريرة بحديث فأنكره فقلت إني سمعته منك، فقال : إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي، فأخذ بيدي إلى بيته فأرانا كتباً كثيرة من حديث رسول الله ﷺ، فوجد ذلك الحديث، فقال : قد أخبرتك أني إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندي"<sup>(2)</sup> ويمكن الجمع بين ذلك بأنه لم يكن يكتب في العهد النبوي ثم كتب بعده 0

قال الحافظ ابن حجر : قلت : وأقوى من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوباً عنده أن يكون بخطه، وقد ثبت أنه لم يكن يكتب، فتعين أن المكتوب عنده بغير خطه"<sup>(3)</sup> 6- والصحيفة الصحيحة التي كتبها همام بن منبه<sup>(4)</sup>، زوج ابنة أبي هريرة ؓ كتبها أمام أبي هريرة، ولهذه الصحيفة مكانة خاصة في تدوين الحديث، لأنها وصلت إلينا كاملة سالمة كما رواها ودونها همام بن منبه عن أبي هريرة، فكانت جديرة باسم "الصحيفة الصحيحة"<sup>(5)</sup> على مثال "الصحيفة الصادقة" لعبد الله بن عمرو بن العاص وقد سبقت الإشارة إليها 0

ونحب أن ننبه أن مصطلح "صحيفة وكتاب وجزء ونسخة ... إلخ لا يعنى بالضرورة" مجموعات صغيرة أو مذكرة عن الحديث" كما كان يعتقد أحياناً وهذا ما أكد صحته الدكتور امتياز أحمد في كتابه "دلائل التوثيق المبكر للسنة"<sup>(6)</sup> 0

- 1 ( ) الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري المدني، نزيل مصر، تابعي، صدوق روى عن أبي هريرة، وابن عمر، وعنه، عبيد الله بن أبي جعفر، وابن إسحاق، والمصريون 0 مات بالإسكندرية 0 له ترجمة في : تقريب التهذيب 2/10 رقم 5416، والكاشف 2/121 رقم 4462، والثقات للعجلي ص 383 رقم 1350، والثقات لابن حبان 5/296 0
- 2 ( ) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أبي هريرة الدوسي 3/584 رقم 6169، وسكت عنه الحاكم وقال الذهبي : هذا منكر لم يصح، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/74 0
- 3 ( ) فتح الباري 1/250 رقم 13 0
- 4 ( ) همام بن منبه هو : ابن كامل الصنعاني، أبو عتبة، أخو وهب 0 روى عن أبي هريرة، ومعاوية، وعنه ابن أخيه عقيل بن معقل، ومعمّر، متفق على توثيقه 0 مات سنة 132 هـ على الصحيح 0 له ترجمة في تقريب التهذيب 2/270 رقم 7343، والكاشف 2/339 رقم 5984، والثقات للعجلي ص 461 رقم 1750، والثقات لابن شاهين ص 344 رقم 1471 0
- 5 ( ) وهذه الصحيفة أخرجها الإمام أحمد بنصها في مسنده 2/312 - 319، وقد طبعت عدة مرات بتحقيق الدكتور محمد حميد الله 0 انظر : السنة النبوية 0 مكانتها 0 لفضيلة الدكتور عبد المهدي ص 119، وعلوم الحديث للدكتور صبحي الصالح ص 32 0
- 6 ( ) ص 148، 158، 161 0

وهذه الكتابات السابقة وغيرها الكثير<sup>(1)</sup>؛ تقطع بكتابة السنة المطهرة في عصر النبوة والصحابة والتابعين<sup>(2)</sup> 0

وتؤكد ما سبق وأن ذكرناه في التوفيق بين النهى عن كتابة السنة والإذن بكتابتها، وهو أن النهى دائر مع الخوف من علة النهى التي سبق تفصيلها، والإذن دائر مع الأمن منها<sup>(3)</sup>

وهذا يؤكد أيضاً أن كل من نُقل عنه (أى من الصحابة والتابعين) النهى عن كتابة السنة فقد نُقل عنه عكس ذلك أيضاً<sup>(4)</sup>، ما عدا شخصاً أو شخصين، وقد ثبتت كتابتهم أو الكتابة عنهم، وبذلك صرح الدكتور محمد مصطفى الأعظمى<sup>(5)</sup>، وأكدده باستفاضة في كتابه (دراسات في الحديث النبوى) حيث عقد الفصل الأول من الباب الرابع لبيان **كتابة الصحابة ومن كتب عنهم في حياتهم**<sup>(6)</sup>، والفصل الثانى فى "كتابة كبار التابعين، ومن كتب عنهم فى حياتهم"<sup>(7)</sup> حتى زمن التدوين الرسمى فى عهد عمر بن عبدالعزيزؓ، بل وبعد زمنه أيضاً<sup>(8)</sup>

**كل ذلك يؤكد الحقائق التى سبق ذكرها من الفرق بين الكتابة، والتدوين وأن** عمر بن عبد العزيز حينما أمر بالتدوين الرسمى

1 ( ) انظر : دراسات فى الحديث النبوى للدكتور الأعظمى 1/84 - 142، ودلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز ص 463 - 590 0

2 ( ) وفى تلك الكتابات رد على الأستاذ محمد رشيد رضا، ومن تابعه كمحمود أبو رية، والسيد صالح أبو بكر (فى أن الصحابة لم يكتبوا، وعدم كتابتهم دليل على أنهم لم يريدوا أن تكون السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن 0 وسبق تفصيل الرد على ذلك ص 298-306 0

3 ( ) راجع : علة النهى عن كتابة السنة ص 281، 288، 291، 292 0

4 ( ) بل والندم على عدم الكتابة، كما روى عن عروة بن الزبير ؓ إذ يقول : "كتبت الحديث ثم محوته، فوددت أنى فديته بمالى وولدى وأنى لم امحه" 0 أخرجه الخطيب فى تقييد العلم ص 60 0

5 ( ) انظر : دراسات فى الحديث النبوى 1/76 0

6 ( ) انظر : المصدر السابق 1/92-142 0

7 ( ) انظر : دراسات فى الحديث النبوى 1/143 - 167 0

8 ( ) انظر : دراسات فى الحديث النبوى 1/168 - 325 0 فأين

كل هذا مما زعمه الدكتور موريس بوكاى من أنه ليس هناك آية مجموعة أحاديث قد ثبتت نصوصها فى عصر النبى 0 انظر : دراسة الكتب المقدسة ص 152 0

للسنة لم يبدأ من فراغ ولكنه اعتمد على أصول الكتابات - التي سبق ذكر بعضها وكانت تملأ أرجاء العالم الإسلامي 0  
وفى ذلك رد على الصنم الأكبر للمستشرقين (جولدتسيهر) ومن تابعه من بني جنسه، وغيرهم من المفتونين بهم من أدعياء العلم: "من أنه ليس صحيحاً ما يقال أن الحديث وثيقة للإسلام فى عهده الأول .. إلخ" (1) 0

### نقد قاعدة شاخت :

**وأبلغ رد على "جوزيف شاخت" فى أنه لا صحة لأى حديث منسوب للنبي ﷺ فى أحاديث الأحكام، وأن المجموعة الأولى من أحاديث الأحكام، قد نشأت فى منتصف القرن الثانى الهجرى 0**  
أبلغ رد عليه فى ذلك ما سبق ذكره من كتاب النبي ﷺ إلى واليه (عمرو بن حزم) والكتاب فى الصدقات، والديات، والفرائض، والسنن، أليس هذا الكتاب فى الأحكام الفقهية التى يشكك فيها شاخت؟

**وكذلك كتاب عمر إلى عامله عتبة بن فرقد بالنهاى عن الحرير، وكتابه فى الزكاة، والخراج، والمسائل المالية الأخرى 0**  
وكتاب أبى بكر لعامله أنس بن مالك لما وجهه إلى البحرين 0  
**أليس ذلك وغيره مما ذكرناه، من أحاديث الأحكام الفقهية التى يزعم "شاخت" ومن صار على دربه أنها نشأت فى منتصف القرن الثانى الهجرى؟!**

**ويقول الدكتور طفر إسحاق الأنصارى (2) فى نقد قاعدة شاخت :** "إن قراءة عابرة لكتاب (أصول الفقه المحمدى) لجوزيف شاخت توضح أن قاعدته فى البحث واستدلالاته سطحيان للغاية فقاعدته (المنهجية المزعومة) القائمة على إنكار وجود خبر أو أثر بناء على سكوت المصادر عنه، وهو ما يقوم عليه موقف شاخت من إنكار توثيق الأحاديث بصفة عامة 0 فقولته : "إن حديثاً ما سيعد غير موجود فى وقت من الأوقات إذا لم يحتج بذلك الحديث فى مواطن الخلاف حيث يكون الاستدلال به أمراً لازماً" (3) 0

1 ( ) للاستزادة فى الرد على هذه الشبهة انظر : الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص 302، 303، والسنة ومكانتها فى التشريع للدكتور السباعى ص 195 - 197، والسنة قبل التدوين للدكتور عجاج ص 249، ومنهج النقد فى علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر ص 463-466

2 ( ) مدير مركز البحوث الإسلامية - بالجامعة الإسلامية - إسلام آباد - باكستان 0

3 ( ) أصول الفقه المحمدى ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 11/698

إنَّ التجاء شاخت إلى هذه الحجة بدا كأنه يوحى بأن علماء المسلمين في القرون الأولى كانوا في حالة (نقاش وجدل) مستمر، وهو افتراض يرفضه العقل السليم بدهاءة **ولا تسلّم لشاخت قاعدته إلا إذا سلّمنا بالافتراضات الآتية :**

- 1- أنه كلما ذكرت الأحكام الشرعية في القرون الأولى من الهجرة المباركة ذكرت معها أدلتها المؤيدة، ولا سيما الأحاديث 0
- 2- أن الأحاديث المعروفة لفقيه ما (أو محدث) ينبغي أن تعرض بالضرورة عند كل فقهاء عصره ومحدثيه في زمنه 0
- 3- أن جميع الأحاديث التي (نشرت) في عهد معين، قد دونت تدويناً كاملاً، وصارت مشهورة على نطاق واسع، وأصبحت محفوظة تماماً، بحيث أننا إذا لم نجد حديثاً في كتاب من كتب أحد العلماء المعروفين فهذا يعني بالضرورة، عدم وجود ذلك الحديث في عهده، سواء في منطقتة أو في سائر أنحاء العالم الإسلامي آنذاك 0

### **ولا يسلم واحد من هذه الافتراضات مع الشهادات التاريخية والحقائق المعروفة في تلك القرون الأولى 0**

**أولاً :** لأن من المصنّفات المتقدمة مدون فيها أحكام فقهية مستنبطة من آيات القرآن الكريم، ومن أحاديث نبوية دون أي إشارة إلى تلك الآيات أو الأحاديث حيث كان أولئك المؤلفون يكتفون بتسجيل آراء مذاهبهم، ولم يهتموا بالضرورة، ببيان الأحاديث عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة ﷺ لتأييد تلك الآراء، هذا إذا كان عنده علم بها، وقد يكون سبب عدم ذكره للحديث عدم بلوغه وعلمه به أو لأنه لم يثبت عنده، أو لمعارضة الحديث لما هو أقوى منه سنداً أو دلالة، كالإمام مالك -رحمه الله- في تقديمه عمل أهل المدينة على خبر الواحد 0

**ثانياً :** "إن الإحاطة بحديث رسول الله ﷺ لم تكن لأحد من الأمة، وقد كان النبي ﷺ يحدث، أو يفتي أو يقضى، أو يفعل الشيء، فيسمعه أو يراه من يكون حاضراً، ويبلغه أولئك - أو بعضهم - لمن يبلغونه، فينتهي علم ذلك إلى من شاء الله تعالى من العلماء، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم 0 ثم في مجلس آخر قد يحدث، أو يفتي، أو يقضى، أو يفعل شيئاً، ويشهده بعض من كان غائباً عن ذلك المجلس ويبلغونه لمن أمكنهم 0 فيكون عند هؤلاء من العلم، ما ليس عند هؤلاء، وعند هؤلاء ما ليس عند هؤلاء 0 وإنما يتفاضل العلماء من الصحابة ومن بعدهم، بكثرة العلم، أو جودته 0 وأما إحاطة واحد بجميع حديث رسول الله ﷺ، فهذا لا يمكن ادعاؤه قط 0 واعتبر ذلك بالخلفاء الراشدين ﷺ الذين هم أعلم الأمة بأمور رسول الله ﷺ وسنته، وأحواله 0

وإذا كان هذا هو حال أعلم الأمة وأفقهها، وأتقائها وأفضلها؛ فمن بعدهم أضعف وخفاء بعض السنة عليهم أولى، فلا يحتاج ذلك إلى بيان 0

**فمن اعتقد، أن كل حديث قد بلغ كل واحد من الأئمة، أو إماماً معيناً، فهو مخطئ خطأ فاحشاً قبيحاً<sup>(1)</sup> 0**

**ثالثاً : لا يسلم الافتراض الثالث لما هو معلوم، وسيأتى أن السنة النبوية قد مرت بمراحل ثلاث : 1-الكتابة، 2-التدوين، 3-التصنيف 0**

**"ولا يقولنَّ قائلُ : إنّ هذه الأحاديث قد دونت وجمعت فحفاؤها والحال هذه بعيد، لأن هذه الدواوين المشهورة فى السنن، إنما جمعت بعد ذهاب الأئمة المتبوعين (رحمهم الله) ومع هذا، فلا يجوز أن يدعى انحصار حديث رسول الله ﷺ فى دواوين معينة 0**

**ثم لو فرض انحصار حديث رسول الله ﷺ فيها، فليس كل ما فى الكتب يعلمه العالم، ولا يكاد ذلك يحصل لأحد، بل قد يكون عند الرجل الدواوين الكثيرة، وهو لا يحيط بما فيها<sup>(2)</sup> 0 وهكذا لم يسلم واحد من الافتراضات الثلاثة حتى تسلم لشاخذ قاعدته 0**

**يقول الدكتور ظفر : "ويكون من المفيد البحث عن الأحاديث التى وجدت فى الكتب السابقة، ولكنها لم تذكر فى الكتب اللاحقة، وهذا يعنى إمكان العمل على طريق معاكس لافتراض شاخذ، وهذا سوف يأتى بنتائج مهمة للغاية، لأنه إذا كان من الممكن وهو فى نظرنا من الممكن - أن تثبت أن كثيراً من الأحاديث الواردة فى كتب متقدمة لا توجد فى كتب**

<sup>1</sup> ( ) رفع الملام عن الأئمة لأعلام لابن تيمية ص 9، 10، 17، وانظر : علوم الحديث للدكتور صبحى الصالح ص 303 وما بعدها 0

<sup>2</sup> ( ) رفع الملام عن الأئمة لأعلام ص 17، 18 0